دشنا ... والجبل*

د. حسن فتح الباب

دشنا تضاجع الجبـل
يستر باليمين عريها على جذوع نخلها القديم
يسدّ بالاخرى ثقوب الخوف في الجباه والعيون
وفي بيوتها التي تلاصقت بلا جدار
يجعل ليلهـا النهار .. فجرها الاسرار
اذا انقض نومها القرير عسكرُ الامير
وانتهك الستار
وحين يشرئبّ عنقود الغضب
على عرائش القصب
ويقبل « العرب » (١)
يستبق « الهوّارة » (٢) الملثمون للمزاغل (٣) المحجبّه
تصبح دشنا مركبـه
جيادها الجفاف والثارات والعار
وملجأ على الجبـل
تصبح دشنا رمالنا التي
غدت رجالنا بلا ثمـن
ويحمل الشباب والكهول قبرهم
بلا كفـن
ولا وطـن
وتنصب الولائم الحمراء للجياع في النجوع
... تستحم دشنا في النجيع

* * *

موّالهم يدور تحت أسقف الكافور
.. في بطن الجسور .. تحت غيمة البكاء والسرور
وانّة الطنبور
وفورة التنّور :
يا ليل طالت غيبة الاحباب
مشرّدين بين أسر الطين وانتفاضة الرمـال
يا عين لا تبكـي على الرجال
مجندلين في الحياض والشعاب
وكلما تساقطت رؤوسهم مع الرياح
نحملها مكبلّيـن بالجراح
ومثخنين بالعذاب
نودعها ـ لكي تضم شملنا ـ أكواخنا
رداؤنا جلود موتانـا
تذكارهم نسيمنا والرمح محيانا
فهذه المقبرة التي توسدت حنية الجبل
لا تسع القتلى من الاموات
.. واللصوص تنبش اللحود
ليشرب الموتور من جمجمة العريع
وتوقـد الشمـوع

* * *

حين طلعنا من مدائن الدخان
كانت قراهم تحت وابل المطر
خضيبة .. والبرق كان دامي الشعل
ولم يكـن مكـان
بجمعنا .. ولا زمـن
ثم انتظرنا .. كانت الشمس على خوذاتنا (٤)
مصلوبة .. وكانت الذئاب في حضن الجبل
وديعة .. كنا نشاهد الحمائم الضحايا تنتحر
فوق الهضاب والوهاد السود
... والصقور تغزو الشاطىء الحزين
وانفجر الحنين في جوانح الطاعن والطعين
للارض .. والجفاف يرعى .. للكهوف .. للبنين
وأقلعت امطارهـا الحمراء
وعادت الذئاب تسترد نابها وظفرها
من الحمائم التي تقاتلت على بيوت النمل
واحترقت على بروج الظل

* * *

دشنا تريـد القوت
والجبل الاصمّ غارق ممدد على المساء
دشنا تريـد الثأر
والجبل الاصمّ فارس ملثم بلا رداء
مدجّج بجوعه والكبريـاء
يحلم بالخصب وبالدمـاء
دشنا تضاجع الجبل
وتنصب الولائم الحمراء للجياع
... تستحمّ في النجيع

وهران ـ الجزائر

هوامش :

(*) دشنا قرية في اقاصي صعيد مصر تمثل نموذجا للتخلف من جراء التركيب الطبقي والعشائري وافرازاته من الفقر المدقع وتفشي جرائم الثار والخطف ، وتاصل تلك الظواهر في ظل النظام البورجوازي الطفيلي الراهن .

(١ و ٢) العرب ـ او الفلاحون ـ والهوارة قبيلتان لا يهدأ بينهما منذ عشرات السنين صراع الانتقام الجماعي (الثار) .

(٣) المزاغل ابنية من اللبن (الطوب النيء) المرصوص باشكال طولية بقدر قامة الرجل تقام بين جدران الحجرات العلوية لمساكن اهل دشنا الطينية وتتخللها فتحات لاطلاق نيران البنادق البدائية منها حين يحتدم الصراع الثاري .

(٤) من تجارب الشاعر اثناء عمله بالصعيد ضابطا للشرطة ورؤيته للواقع الاجتماعي .